ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم ارنا الحق حقا فنتبعه وارنا الباطل
باطلا فنجتنبه ولا تجعله علينا متشابها فنتبع الهوى وهذا مذهب ابي ثور وابراهيم
بن خالد الكلبي وداود بن علي والحسين الكرابيسي والحارث بن اسد المحاسبي ومن
تابعهم من المتكلمين فهذه اقوال العلماء في معنى هذا الخبر حكيناها لئلا يعزب علمها ايضا
لمذاهبهم على وفق مذهب كل طائفة واختيار كل قول ولا خلاف لنا والمعنى لهم
وهذا الخلاف حسن ومحتمل هذا. كلهم وان اختلفوا في تقسيم الحديث بالالفاظ فانهم مت
متقاربون في المعنى لان اهل الظاهر منهم قالوا انهم حملوا على ما يعلمون واهل الباطن قالوا
على علمهم ولعمري ان الظاهر والباطن علمان لا يستغني احدهما عن صاحبه بمنزلة
الاسلام والايمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما عن
صاحبه وهؤلاء المختلفون في الاقوال مجمعون انه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب
علم الاقضية والفتاوى ولا علم الاختلاف والمذاهب ولا كتب الاحكام كلها لا يتعين
وانكان الله تعالى لا يخلي من ذلك من يقيمه في وقته والذي عندنا في حقيقة معنى
هذا الخبر والله اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة يعني علم هذه
الفرائض الخمس التي بني الاسلام عليها من حيث لم تفترض على المسلمين غير هذه
ثم ان العمل لا يصح الا بعلمه فاول العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل
فلما لم يكن على المسلمين فرض من الاعمال الا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضا
لانه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها لانه في اوله شهادة ان لا اله الا الله
فلاثبات صفات الله المنفصلة بذاته ونفي صفات سواه المنفصلة عن ايلاه كله داخل
في علم شهادة ان لا اله الا الله وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام اذ لا يكون مسلما
الا باخلاص العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص
العمل لله فيه ابدا واشترطه للاسلام ولا صلى في هذا انه لو اراد صلى الله عليه وسلم كل ما
جاز ان يكون معلوما فالاجماع للامة انه لم يعن بذلك علم الطب والنجوم ولا علم النحو
او الشعر او المغازي وهذه تسمى علوما لانها تكون معلومة وارباب علماء بها
لان الشرع لم يرد الامة مجمعة ايضا انه لم يرد بذلك علم الفتيا
والقضاء ولا علم افتراق المذاهب واختلاف الاراء وهذه تسمى علوما عند اهلها وقد
بعضها فرض على الكفاية وكلها ساقطة عن الاعيان والخبر جاء بلفظ العموم بذكر
الكلية وبمعنى الاسم فقال طلب العلم فريضة ثم قال على كل مسلم بعد قوله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا العلم فكان هذا على الاعيان وكانه على ما وقع عليه اسم العلم
ومعناه المعهود المعروف بادخال التعريف عليه واشير بالالف واللام اليه فاذا
بطلت هذه الوجوه مع ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم
اي طلب علم ما بني الاسلام عليه وافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله صلى

الله

الله عليه وسلم للاعرابي حين سأله اخبرني ما افترض الله تعالى علي وفي لفظ آخر
اخبرنا ما للرجل فذكر له رسول الله تعالى البيان به واخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والـ
والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل علي غيرها فقال لا الا ان تطوع
فقال والله لا ازيد عليها شيئا ولا انقص منها شيئا فقال افلح ودخل الجنة ان صدق
فكان علم هذه الخمسة المفترضة فريضة من حيث كان معلومه فريضة اذ لا عمل الا بعلم
وقد قال عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وقال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم
بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال تعالى ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا وقال سبحانه فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو
وقال فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذه الآي افترض الله تعالى فيها طلب
العلم وذلك الخبر الذي جاء في ابنية الاسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه هذه الاعمال ثم قال مجملا طلب العلم فريضة ثم وكده بقوله صلى الله عليه وسلم
على كل مسلم وكان تفسيره لمن وفق لتحصيله ان علم هذه الخمس التي هي ابنية الاسلام
فرض لاجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر والانساب
وايام العرب فقال هذا علم لا يضر جهله وفي لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وروينا
في الخبر ان من العلم جهلا وان في القول عيا وفي الخبر الآخر قليل من التوفيق خير من
كثير العلم وفي خبر غريب كل شيء يحتاج الى العلم والعلم يحتاج الى التوفيق والخبر
المشهور اعوذ بك من علم لا ينفع فسمى علما اذ له معلوم واخبر به علما عند اهله
ثم رفع المنفعة عنهم واستعاذ منه وقد روينا في خبر آخر ان الشيطان ربما سبقكم
بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا
حتى يموت وما عمل حتى يموت وفي هذا الخبر دليلان احدهما انه اريد به طلب فضول
العلم الذي لا يتبعه الآخرة ولا من يبتغي بطلبه وجه الله والثاني ان العلم المفروض المندوب
اليه المأمور الذي يقتضي العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم
ولكن طلب العلم للعمل به ولا تستمع الى قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر فضل
من علم احب الي من فضل من عمل وخير دينكم الورع

ذكر فضل علم المعرفة واليقين

على سائر العلوم وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الوف من صحابته كلهم علماء بالله تعالى فقهاء عن الله تعالى اهل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)